الحركات الإسلامية المعاصرة والتجسير إلى اللادينية

لسنة: ١٤٤٠هـ- ٢٠١٩م

بقلم: الأستاذة هالة عدنان محمد التحافي

باحثة في أصول الدين / التفسير وعلوم القرآن

Kahtan_omar@yahoo.com

ملخص البحث

خطة البحث يتضمن من مبحثين:

المبحث الأول: الحركات والأحزاب الإسلامية.

المبحث الثاني: العلمنة واللادينية وموقف الإسلام منها.

الحركة: هو إنتقال الجسم من مكان إلى مكان.

والحركات الإسلامية: هي الحركات تنادي بتطبيق قيم الإسلامية.

الحزب: هو تجمع الشيء، فمن ذلك الحزب الجماعة من الناس.أمَّا في الاصطلاح هو مجموعة من المواطنين يؤمنون بأهداف سياسية وإيديولوجية مشتركة وينظمون أنفسهم بهدف الوصول إلى السلطة وتحقيق برنامجه.

أنَّ العلمنة هي كلمة ، غير عربية، فهي أوروبية.

أنَّ فصل الدين عن الدولة هي" فصل كل القيم الإنسانية، والأخلاقية، والدينية , وعن حياة الإنسان وأنَّ الظروف الدينية كانت العامل الأساسي لردَّة أوروبا عن الدين, والصراع بين الدين والعلم كان من أعمق وأعقد المشكلات في التأريخ الفكري الأوروبي. والعلمانية تعني- قيام الحياة على غير الدين وأنَّ الاسلام يرفض العلمانية لأنَّها دعوة ضد الإسلام.

والعلمانية من الجانب الأخلاقي تعني: الانفلات والفوضى في إشاعة الفاحشة والرذيلة والشذوذ، والاستهانة بالدين والتضليل والخداع..

فلهذا فإنَّ العلمانية لا تنطبق على الإسلام والمجتمعات الإسلامية، وذلك لأنَّه ليس في الإسلام تحريف في مصدر عقيدته.

إنَّ من أسباب انتقال العلمانية إلى العالم الإسلامي انحراف كثير من المسلمين عن العقيدة الصحيحة المستمدة من الكتاب والسُنَّة.

Research Summary

The research plan includes two sections:

.**The first topic:** Islamic movements and parties

The second topic: Secularization and Ladinism,andThe view of Islam from than it's.

The movement: is the transfer of the body from place to place.

Islamic movements: these are the movements that require the application of Islamic values.

The Party: It is a gathering group of people.

In the terminology; Is a group of citizens they believe in a common political and ideological goal. They organize themselves in order to gain power And reach the goal.

Secularization is not an Arabic word but a European word.

The separation between religion and the state "means removing allhuman, moral and religious values, not only of the State, but of nature, of human life.

The religious conditions were the main factor of apostasy in Europe.

The conflict between religion and science was one of the most profound and complex problems in European intellectual history.

Secularism means the creation of a life other than religion, And the Islam rejects secularism because it is an invitation against Islam.

Secularism on the moral side means: creating chaos and Underworld and anomaly, And contempt for religion.

the Secularism is a ignorant term, unrelated to science Not related to science.He called it the enemies of Islam for the deception of the people

Therefore, secularism does not apply to Muslim societies, because Islam does not distort the source of its faith.

One of the reasons for the transition of secularismTo the Islamic worldThe deviation of many Muslims from the correct doctrine derived from the Quran and Sunnah.

المقـدمــة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير المرسلين نبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

إنَّ الآلام التي تعيشــها أُمتنا منذ ســقوط دولتنا إلى اليوم لم تفارقنا ولم تهدأ أو تأخذها سِـنَة، فهي من اشـتعال إلى آخر فمن مصيبة وصول الماسون ويهود الدونمة إلى مقاليد الحكم في السلطنة العَلية، إلى إستخدامها في الحرب العالمية لصالح الغير، إلى إعلان ســقوطها، إلى (ســايكس بيكو) وما تلاها من مؤتمرات، إلى إســتعباد شــعوبها على أيدي المتآمرين من الأقليات، وقطاع من المرتزقة الذين لعبوا دور العبد الأمين لدى سيده الغربي (الصهيوصليبي) إلى حروب الإبادة.

العجيب في الأمر أنَّنا وخلال قرن من الزمن لم نهتدِ إلى حقيقة ما يجري لنا وما أســبابها، نعيش في تخبط ما بعده تخبط.. فقد إنشـقت أُمتنا عامودياً وأُفقياً، أما عامودياً فبسـبب أحزابها السـرطانية التي تجاوزت خليتها إلى سـائر خلايا الجسـد. وأُفقياً بسبب ضياع هوية أبنائها. ولا أقول مفاهيم، فهم إخترعوا ولم ينشئوا حضارة.ثم إنَّك لترى العجب أنَّ في كليهما ألوان الإنشقاقات فالمتمســك بالموروث منهم من يرى التقليد بالمطلق ومنهم من يرى الإجتهاد بالمطلق، ولكليهما إنشــقاقات عدة. أمَّا الملتحقون

بالغير منهم من التحق بالشـرق ومنهم من التحق بالغرب. الشـرقيون منهم شـيوعيون ملحدون ومنهم إشـتراكيون يتلونون وغير ذلك، وكذا الغربيون منهم الأوروبي ومنهم الأميركي ومنهم غير ذلك.. فالشـــرخ في الأمة كبير وخطير... بل وأخطر ما في الأمر ضياع معالم الطريق.

في خضم هذه الآلام إنبرى جموع من الناس تتلمس الخلاص والهدى في الطريق فكانت لها إجتهادات وخطوات. فمنهم من اهتم بالدعوة إلى الله تعالى بالتبليغوالتربية، ومنهم من أسس الحركات والأحزاب تحت عنوان إعادة الإسلام من جديد إلى الحياة. أو إستئناف الحياة الإسلامية، إمَّا عبر العمل السياسي أو العسكري أو الإجتماعي.. ومنذ حوالي القرن من الزمن إلى اليوم لم نجد التكافؤ بين التضحيات التي قدمت والثمار المرجوة!! بل كلما برز طرح يزعم أنَّه الحل تتكبد الأمة الآلام تلو الآلام ثم تكون المراجعات ليبرز طرح جديد على أنَّه الحل.. وهكذا.

خـــطـــة البحـث

قسمت الموضوع إلى مبحثين:

المبحث الأول: الحركات والأحزاب الإسلامية.

يندرج تحته مطلبين:

المطلب الأول: تعريف الحركات والأحزاب لغةً واصطلاحاً.

المطلب الثاني: الدور الذي قامت به (الإيجابي والسلبي).

المبحث الثاني:العلمنة واللادينية وموقف الإسلام منها:

ويندرج تحته على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف العلمنة لغةً.

المطلب الثاني: تأريخ نشأة العلمانية وموقف الإسلام منها.

المطلب الثالث: هل بين الحركات الإسلامية واللادينية إمكان التجسير؟!

المطلب الأول: تعريف الحركات والأحزاب لغةً واصطلاحاً.

الحركة في أصل اللغة: هي أصل واحد وهي ضد السكون[١].

وبمعنى: التوسط أن يكون الجسم واصلًا إلى حد من حدود المسافة في كل آن لا يكون ذلك الجسم واصلًا إلى ذلك الحد قبل ذلك الآن وبعده.

وبمعنى آخر :القطع إنَّما تحصل وجود الجسم المتحرك إلى المنتهى لأنَّها هي الأمر الممتد من أول المسافة إلى آخرها[٢].

وقال راغب الاصـفهاني: ولا تكون إلَّا للجسـم وهو إنتقال الجسـم من مكان إلى مكان وربَّما قيل ترك كذا إذا إسـتحال (التحول) وإذا زاد في أجزائه وإذا نقص من أجزائه[٣].

---

(١) معجم مقاييس اللغة, أبو الحسين احمد بن فارس, تحقيق: عبد السلام محمد هارون, الناشر: دار الفكر, ط.(١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م), باب حرم, ج٢, ص, ٤٥.

(٢) التوقيف على مهمات التعاريف, محمد عبد الرؤوف المناوي, تحقيق: محمد رضوان الداية, الناشر: دار الفكر المعاصر , دار الفكر, بيروت, دمشق,ط١، (١٤١٠-هـ), باب فصل الراء, ج١, ص, ٢٧٦.

(٣) مفردات ألفاظ القرآن, ابو القاسم الحسين بن محمد الراغب الاصفهاني, دار النشر:دار القلم, دمشق, (د, ط.), باب كتاب الحاء, ج١, ص, ٢٢٦.

تعريف الحركات اصطلاحاً: الحركة في اصطلاح السياسين: هي التيار العام الذي يدفع طبقة من الطبقات أو فئة إجتماعية معينة إلى تنظيم صفوفها بهدف القيام بعمل موحد لتحسين حالتها الإقتصادية أو الإجتماعية أو السياسية أو تحسينها جميعاً[٤].

والحركات الإسلامية: هي الحركات التي تنشط على الساحة السياسية وتنادي بتطبيق قيم الإسلام وشرائعه في الحياة العامة والخاصة على حدٍ سواء؛ وتناوئ في سبيل هذا المطلب الحكومات والحركات السياسية والاجتماعية الأخرى التي ترى أنَّها قصَّرت فيامتثال تعاليم الإسلام أو خالفتها, ويغلب اطلاق هذا المصطلح على الحركات التي تصف نفسها بهذا الوصف، وتنشط في مجال السياسة[٥] .

أمَّا الحزب في أصل اللغة: أصل واحد وهو تجمع الشيء، فمن ذلك الحزب الجماعة من الناس[٦] ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ (سورة المؤمنون: الآية ٥٣).

أمَّا تعريف الحزب اصطلاحاً: هو مجموعة من المواطنين يؤمنون بأهداف سياسية وإيديولوجية مشتركة وينظمون أنفسهم بهدف الوصول إلى السلطة وتحقيق برنامجهم.

لذا فان الفرق بين الحركة والحزب كما يأتي:

١- الحركة أكثر شمولاً من الحزب إذ يمكن أن تكون نقابة أو جماعة ضغط أو تياراً عريض.

٢- الحركة أقل تماسكاً من الحزب لا تجمعها عقيدة واحدة.

٣- الحركة أقل إنضباطاً من الحزب، فلا نظام تفصيلي لديها[٧]

المطلب الثاني:الدور الذي قامت به (الإيجابي والسلبي).

إنَّما قامت به هذه الحركات ما خلا من سلبيات، وجلّ من لا يخطىء، والمعصوم ملّ عصمه الله...

الدور الإيجابي:

١- حافظت على هوية الأمة أمام الهجمة الشرسة من أعداء الخارج والداخل على السواء.

٢- نصرت قضايا المسلمين في كل مكان.

٣- كشفت وعرّت التآمر، والكيد، ومكر الليل والنهار، فكانت عقبة أمام سَرَح ومرح الأعداء في فضاء أمتنا.

الدور السلبي: إلّا أنَّ الدور السلبي كان عقبة أمامها وأمام الأمة كذلك:

١- تمزيق الأمة أفقياً وعامودياً

٢- تحريف مفهوم الولاء من الأمة إلى الدوائر الضيقة.

٣- تفويت الفرص والوقت على الأمة بسبب سوء الفهم والعصبية الحزبية وإلزام الناس بإجتهاداتهم التي لا تلزم

٤- العيش خارج التصور الصحيح للواقع.

٥- تحويل الدعوة من إلى الله تعالى وإلى دينه – إلى حزبهم وفكرتهم.

٦- التحول من دعوة الآخرين إلى الإسلام، إلى دعوة لا أقول المسلمين بل وأهل المساجد إلى دوائرهم الخاصة بهم[٨]...

---

(٤) الموسوعة السياسية , مجموعة مؤلفين المؤسسة العربية للدراسات والنشر: بيروت ط٣، (١٩٩٧م),ج ٢، ص٢٢٢-٢٢٣.

(٥)مركز الإمارات للدراسات والبحوث الستراتيجية ، الحركات الإسلامية وأثرهافي الاستقرار السياسي في العالم العربي ، ط١، (٢٠٠٢م)، ص,١٣.

(٦) معجم مقاييس اللغة, ابو الحسين احمد بن فارس, تحقيق: عبد السلام محمد هارون,الناشر: دار الفكر, ط,(١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م).باب حزر, ج٢, ص, ٥٥.

(٧) الموسوعة السياسية , مجموعة مؤلفين المؤسسة العربية للدراسات والنشر, بيروت ط٣، (١٩٩٧ م), ج ٢، ص ٢٢٣.

(٨) الموسوعة السياسية , مجموعة مؤلفين المؤسسة العربية للدراسات والنشر, بيروت ط٣، (١٩٩٧ م), ج ٢، ص,٢٢٣.

٧- تجميد مقدرات المسلمين﴿ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ (سورة الروم, الآية: ٣٢)، ولو كل منهم إنفق ما وضع يده عليه، على أمته، ومنطقته، لأنقذها ما هي فيه لكن كل منهم يعتبر ما عنده من أموال ومقدرات الدعوة، حق شخصي له ولا أقول لعصبته.

٨- تغيير مفهوم الأخوة من ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ (سورةالحجرات الآية: ١٠),إلى (إنَّما الحزبيون إخوة).

٩- التنازع والشقاق بين الأحزاب والجماعات والأفكار.

١٠- استعداد البعض مِن أجل النكاية لأخيه من الحركة الأخرى للتعاون عليه مع الخط الصهيوصليبي وعملائه للإطاحة به.

١١- التصارع ولا أقول التنافس على أعمال يسمونها دعوية (قد يكون الهدف شخصي بحت) بدل التكامل.

١٢- إضعاف شعور الأمة بين الناس.

١٣- فتنة الناس في دينهم (لمن ننتمي)، (الحق مع من؟) .

١٤- تفريخ أجيال مريضة لا تفقه سوى مصلحتها الشخصية فقط[٩].

المبحث الثاني

(العلمنة واللادينية وموقف الإسلام منها)

المطلب الأول: تعريف العلمنة لغةً:

العلمنة كلمة لا تعود بمصدرها إلى العلم بشكل من الأشكال، إنَّ أصل النشأة غير عربية، فهي أوروبية، واستخدمت بلغات متعددة منها. فقد استخدمت ضمن سياق اللغة الرومانية (سيكلوم) بمعنى الزمني، والدنيوي، والمتغير، والنسبي، وما شابه ذلك إلى جانب كلمة (موندوس) للإشارة إلى معنى العالم او الدنيا. أما في السياق اليوناني فقد استخدمت بمعنى الزمن والدهر، أو الحقبة من الزمن. ولم يخرج الإستعمال المسيحي لكلمة علماني عن هذا الخط العام، فقد استوعبت المسيحية هذه المعاني اليونانية والرومانية، وسكبتها ضمن وعائها الديني الروحاني.

أما في اللغة الفرنسية فإن اللائكية تعد من الكلمات الأكثر شيوعاً واستعمالاً، وهي ذات خصوصية فرنسية، وقد ظهر هذا المصطلح لأول مرة في القاموس البيداغوجي الصادر ما بين عامي ١٨٨٢-١٨٨٧رومي. واستخدم إبتداء للإحالة على عملية إصلاح التعليم التي قادها الجمهوريون في إطار سعيهم إلى تحويله من سلطة الكنائس إلى سلطة الدولة الجمهورية، وقد شاع هذا المصطلح أكثر فأكثر مع بداية علمنة التعليم ونظام المدارس أواخر القرن التاسع عشر ثم ازداد شيوعه أكثر مطلع القرن العشرين، وتحديداً في أجواء الفصل بين الدولة والكنيسة الذي تم إعلانه رسمياً سنة ١٩٠٥ الميلادي رومي[١٠].

أمَّا في الإنكليزية فهي (SECULARISM) ولا علاقة لها بالعلم، إذ العلم (SCIENCE)، وأما ترجمتها الصحيحة فهي **(اللادينية أو الدنيوية)** لا بمعنى ما يقابل الأخروي فحسب، بل بمعنى أخص هو ما لا صلة له بالدين، أو ما كانت علاقته بالدين علاقة تضاد.

تقول دائرة المعارف البريطانية ١٩/٩: هي حركة إجتماعية تهدف إلى صرف الناس وتوجيههم من الإهتمام بالآخرة إلى الاهتمام بهذه الدنيا وحدها. ذلك أنَّه كان لدى الناس في العصور الوسطى رغبة شديدة في العزوف عن الدنيا والتأمل في الله واليوم الآخر.

---

(٩)الموسوعة السياسية , مجموعة مؤلفين المؤسسة العربية للدراسات والنشر, بيروت ط٣، (١٩٩٧ م), ج ٢، ص ٢٢٣- ٢٢٤.

(١٠) رفيق عبدالسلام،في العلمنة والدين والديموقراطية والمفاهيم والسياقات، مركز الجزيرة للدرسات، قطر، العربية للعلوم ، بيروت – لبنان ، ط (١، ٢٠٠٨م)، ص,١٩.

وفي مقاومة هذه الرغبة طفقت ال (SECULARISM) تعرض نفسها من خلال تنمية النزعة الإنسانية، حيث بدأ الناس في عصر النهضة يظهرون تعلقهم الشديد بالإنجازات الثقافية والبشرية وبإمكانية تحقيق مطامحهم في هذه الدنيا القريبة.

وظل الإتجاه إلى (SECULARISM) يتطور باستمرار خلال التاريخ الحديث كُلِّه، بإعتبارها حركة مضادة للدين و مضادة للمسيحية.

ويقول معجم أكسفورد في صفحته ٧٨٥ شرحاً لكلمة (SECULAR) :

١- دنيوي، أو مادي، ليس دينياً ولا روحياً: مثل التربية اللادينية، الفن أو الموسيقى اللادينية، السلطة اللادينية، الحكومة المناقضة للكنيسة.

٢- الرأي الذي يقول أنه لا ينبغي ان يكون الدين أساساً للأخلاق والتربية[١١].

أما تعريف فصل الدين عن الدولة (لا يعطي المدلول الكامل عن العلمانية، فقد ذهب د.عبد الوهاب المسيري إلى إعتبار العلمنة الشاملة وهي " فصل كل القيم الإنسانية، والأخلاقية، والدينية، لا عن الدولة وحسب، وإنَّما عن الطبيعة، وعن حياة الإنسان في جانبيها العام والخاص بحيث تنزع القداسة عن العالم ويتحول إلى مادة إستعمالية يمكن توظيفها لصالح الأقوى).

أما الجزئية "فهي ترجمة لعبارة (SEPARATION OF CHARCHAN STATE) وهو أكثر التعريفات شيوعاً للعلمانية في العالم، سواء في الغرب أو في الشرق. والعبارة تعني حرفياً " فصل المؤسسات الدينية (الكنيسة) عن المؤسسات السياسية" (الدولة).

ويرى الدكتور الميسري أنَّ الأولى لا يمكن أن تتعايش مع الإسلام بخلاف الأخرى التي استدل ببعض النصوص للدلالة على إمكانية قبول الإسلام لها،ولنا في هذا نقاش يكون في مكانه إن شاء الله[١٢].

امَّا تعريف الاصطلاحي للعلمانية: هو في نشأته وملابساته الأوروبية- النزعة الدنيوية, والمذهب الواقعي في تدبير العالم من داخله وليس بشريعة من ورائه.

والعلمانية كنزعة في تدبير العالم, وكمذهب في المرجعية الدنيوية لشؤون العمران الإنساني[١٣].

المطلب الثاني: تأريخ نشأة العلمانية وموقف الإسلام منها.

لقد قامت العلمانية اللادينية على الإلحاد وإنكار وجود الله وإنكار الأديان. وكانت العلمانية عند قيامها في مرحلتها الأولى في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين. تُنظر إلى الدين على أنَّه ينبغي أن يكون أمراً شخصياً لا شأن للدولة به إلَّا ما يتعلق بجباية الضرائب للكنيسة. ولعل هذا كان خداعاً لأهل الدين. ثم اشتدت المواجهة للدين, ممّا جعلهم ينادون بفصل الدين عن الدولة ليستقل كل فريق بسلطته.

حتى إذا جاء القرن التاسع عشر, وهي المرحلة الثالثة, إذ بالعلمانيين يتجهون اتجاهاً منافياً لكل مظاهر الدين والتديُّن. وبدأ الصراع يشتد بين العلمانيين اليساريين الناشئين وبين رجال الدين الكنسي المتقهقر. إلى أن أُقصيَ الدين تماماً. ولم يعد للإيمان بالغيب أي مكانة في النفوس. إذ حلَّ محلَّه الإيمان بالمادي المجرد المحسوس[١٤].

---

(١١)رفيق عبدالسلام،في العلمنة والدين والديموقراطية والمفاهيم والسياقات، مركز الجزيرة للدرسات، قطر، العربية للعلوم ، بيروت – لبنان ، ط (١، ٢٠٠٨م)، ص ٢١ – ٢٢.

(١٢) عبد الوهاب المسيري ، العلمانية الجزئية والعلمانية الشمولة ، دار الشروق ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠٢م ، ج, ص,١٦-١٧.

(١٣) العلمانية بين الغرب والإسلام, محمد عمارة, ط١,(١٤١٧هـ- ١٩٩٦م), ص,٥.

(١٤)المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها. غالب بن علي عواجي, دار النشر: المكتبة العصرية الذهبية, جدَّة- السعودية, ط١, (١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م), ج١, ص, ٦٨٥.

أنَّ الظروف الدينية كانت العامل الأساسي لردَّة أوروبا عن الدين, أمَّا الظروف الاقتصادية والسياسية والاجتماعية, فكانت تشكل عوامل مساعدة ولئن وصلت أوروبا في قرونها الوسطى إلى الحضيض في تعاملها مع الدين فلقد كانت كذلك في الحضيض بالنسبة لظروفها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية.

وكانت الكنيسة لا تكتفي بالسكوت على مظالم الإقطاع, بل كانت تمارس نفسها الإقطاع. أمَّا الجانب السياسي.. فقد كانت خاضعاً لنفس الظروف, الحاكم إقطاعي يتملَّق الإقطاعيين.. ويمتلك العبيد, ويقدم للإمبراطور إعانة سنوية مقابل قيامه بالحكم وفرض الضرائب وتحصيلها.. وكان هذا يمثل ما أسموه بالسلطة الزمنية(١٥).

وكانت المحكمة عبارة عن سجون مظلمة تحت الأرض بها غرف خاصة للتعذيب والات لتكسير العظام وسحق الجسم البشري. وبفضل هذا الارهاب البالغ والطغيان العاني, عاش الناس تلك الأحقاب ترتعد قلوبهم وترتجف أوصالهم عند ذكر الكنيسة.

وكان سكان أوروبا قبائل همجية تعيش أسوأ مراحل التأريخ الأوروبي كلَّه, لا سيما العصور الأولى من القرن الوسطى, التي تسمى (العصور المظلمة).

أنَّ الصراع بين الدين والعلم مشكلة من أعمق وأعقد المشكلات في التأريخ الفكري الأوروبي إن لم تكن أعمقها قاطبة. ولذلك فقد خُيِّل للكثيرين أنَّ المعركة لم تنتهي وأنَّها باقية ما بقيت المعرفة الإنسانية, وساعد على ترسيخ هذه الفكرة تقبل النفسية الأوروبية للازدواجية في كل شيء وهو التقبل الذي تولد من خضوعها المستمر لسلطتين متباينتين وإيمانها الطويل بفكرتين متناقضتين.

وأول عمل مارسته الكنيسة في هذا المجال هو احتكارها للعلم وهيمنتها على الفكر البشري بأجمعه. يقول برنتن:

إنَّ أكثر أصحاب الوظائف العلمية حتى في أوج العصور الوسطى كانوا ينتمون إلى نوع من أنواع المنظمات الدينية, وكانوا جزءاً من الكنيسة, حيث أنَّ الكنيسة بدرجة لا تكاد نفهمها اليوم تتدخل في كل لون من ألوان النشاط البشري وتوجهها وبخاصة النشاط العقلي.

إنَّ النظرية التي هزَّت الكنيسة لأول مرة هي نظرية كوبرنيق (١٥٤٣) الفلكية, فقبل هذه النظرية كانت الكنيسة المصدر الوحيد للمعرفة وكانت فلسفتها تعتنق نظرية بطليموس التي تجعل الأرض مركز الكون وتقول أنَّ الأجرام السماوية كافة تدور حولها(١٦).

وثار العلماء ودعاة التجديد مطالبين بتقديس العقل واستقلاله بالمعرفة بعيداً عن الوحي, ولم يجرؤ دعاة المذهب العقلي أول الأمر على إنكار الوحي بالكلية, بل جعلوا لكل من الطرفين دائرة خاصة يعمل فيها مستقلًا عن الأخر.

وكان مذهب (ديكارت) أبرز المذاهب الفلسفية في هذا العصر, وقد دعا إلى تطبيق المنهج العقلي في الفكر والحياة واستثنى من ذلك– لسبب ما– الدين والعقائد الكنيسية والنصوص المقدسة وكان يرى (أنَّ ميدان علم الطبيعة, وموضوعه استغلال القوى الطبيعية وأدواته الرياضة والتجربة ويختص الدين بمصائر النفس في العالم الآخر ويعتمد على الآعتقاد والتسليم فلا مضايقة بين العلم والدين ولا سلطان لأحدهما على الأخر(١٧).

أمّا موقف الإسلام من العلمانية:

---

(١٥)الاتجاهات الفكرية المعاصرة, علي جرشية, دار الوفاء للنشر والتوزيع, المنصورة, ط٢, (١٤٠٩هـ– ١٩٨٨م), ص, ٥٨– ٥٩.

(١٦) العلمانية ، سفرعبد الرحمن الحوالي ، دار الهجرة للنشر, (د, ط,), ص, ١٢٢–١٥٠.

(١٧) العلمانية، سفرعبد الرحمن الحوالي ، دار الهجرة للنشر, (د, ط,), ص, ١٥٢– ١٥٣.

إنَّ العلمانية تعني– بداهة الحكم بغير ما أنزل الله فهذا هو معنى قيام الحياة على غير الدين, ومن ثم فهي – بالبديهة أيضـاً – نظام جاهلي لإمكان المعتقده في دائرة الإســلام بل هو كافر بنص القرآن, قال تعالى: ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ (سورة المائدة, الآية: ٤٤). ونرى إستصعاب بعض الناس إطلاق لفظ الكفر أو الجاهلية على من اطلقهما الله تعالى عليه من الانظمة والاوضـــاع والافراد بدرجة أنَّ هذه الانظمة لا ســـيما العلمانية والديموقراطية, لا تنكر وجود الله ولا تمانع في شـعائر التعبد وبعض أفراد الانظمة العلمانية يتلفظون بالشـهادة ويقيمون الشـعائر من صـلاة وصـيام والحج وصـدقة ويحترمون رجال الدين والمؤسسات الدينية...الخ. فكيف نستسيخ القول بأنَّ العلمانية نظام جاهلي وأنَّ المؤمنين بها جاهيلون؟ ومن الواضح جداً يلوكون هذه الشبهة لا يعرفون معنى **(لا إله إلَّا الله)** ولا مدلول (الإسلام) وهذا على فرض حسن الظن بهم وهو ما لا يجوز في حق كثير المثقفين الذين يتعلَّلون بهذه العلل.

إنّ تأريخ الدعوة الإسلامية وصراعها المرير, وإنَّ القرآن الكريم لله من أوَّله إلى أخره ومثله في السُنَّة, لتقطع الطريق على هذه الشبهة وقائليها.

إنَّ منازعة العلمانيين اليوم فهي منازعة في أصـــل الدين, ومشـــاقة بينه لله ولرســـوله وللمؤمنين, إنَّهم يجادلون في حجية الوحي الأعلى المعصـــوم, وينازعون في مبدأ الدخول في دائرة التكليف ويكفرون بصـــلاحية الشـــريعة كل الشـــريعة للتطبيق... إنَّها ثورة على الإسلام.. وإنقلاب ضد النبوة[١٨].

وبعد هذا العرض الموجز للعلمانية أرى أنَّه لا بد للعالم الإســلامي لها أن تشـق طريقها في الدعوة إلى الله سـبحانه وتعالى في العالم. وبما أنَّ الإسلام بمعنى اسم للدين, فعلينا إعداد الدعاة للتوسع في جميع أنحاء العالم للدعوة إلى الله عزَّ وجل وإفهام العالم بمعنى العلمانية وأنَّ لا ندينها حتى لا يؤثر سلباً على الإسلام[١٩].

المطلب الثالث:هل بين الحركات الإسلامية واللادينية إمكان التجسير؟؟

كان هناك محاولات علمنة الإسلام من قبل بعض المفتونين بالغرب أمثال الأفغاني, والطهطاوي، ومحمد عبده، وقاسم أمين وغيرهم كطه حسين. يقول رفاعة الطهطاوي وهو الشيخ الأزهري " فما يسمى عندنا بعلم أصول الفقه يشبه ما يسمى عندهم بالحقوق الطبيعية، أو النواميس الفطرية، وهو عبارة عن قواعد عقلية تحيسنا وتقبيحاً، يؤسسون عليها أحكام المدينة. وما نسميه بالعدل والإحسان، يعبرون عنه بالحرية والتسوية، وما يتمسك به أهل الإسلام من محبة الدين والتوسع بحمايته مما يفضلون به عن سائر الأمم في القوة والمنعة – يسمونه محبة الوطن [20].

وكذا ما قاله جمال الدين الأفغاني" إن الأمة هي مصدر القوة والحكم وإرادة الشعب هي والقانون المُتَبَع للشعب الذي يجب على كل حاكم أن يكون خادماً له وأميناً [٢١].

فالمؤسسة الدينية لا يمكن أن تتوحد مع المؤسسة السياسية في أي تركيب سياسي وحضاري مركب، تماماً مثلما لا يمكن أن تتحد مؤسسة الشرطة الخاصة بالأمن الداخلي مع مؤسسة الجيش الموكول إليه الأمن الخارجي كما لا يمكن أن تتوحد المؤسسة

---

(١٨) موقف الإسلام من العلمانية, صلاح الصاوي, دار الندوة العالمية للشباب الإسلامي, (١٤٢١هـ), مكتبة الملك فهد الوطنية للنشر, ط١, (١٤٢٢هـ– ٢٠٠١م), ص, ٢٥.

(١٩)العلمانية، سفر عبد الرحمن الحوالي ، دار الهجرة للنشر, (د, ط,), ص, ٦٨١– ٦٨٧.

(٢٠) جذور الإنحراف في الفكر الإسلامي الحديث, جمال سلطان, ط١, (١٤١٢هـ– ١٩٩١م), ص, ١٦.

(٢١) العلمانية نشأتها وتطورها, سفر بن عبد الرحمن الحوالي, دار الهجرة للنشر, (د, ط,), ص, ٥٢٥.

التعليمية والمؤسسة الدينية. وفي العصور الوسطى المسيحية، كانت هناك سلطة دينية (الكنيسة) وأخرى زمنية (النظام الإقطاعي) . بل داخل الكنيسة نفسها، كانت هناك من ينشغل بأمور الدين وحسب ومن ينشغل بأمور الدنيا[٢٢].

لذا هناك الكثير من المحاولات لكني على يقين أنَّهم لن يفلحوا بسبب حفظ الله تعالى لدينه الذي هو الحجة الباقية على الأمم ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (سورة الحجر, الآية: ٩).

أنَّ الاسلام يرفض العلمانية رفضاً سواء أكانت العلمانية بمعنى فصل الدين عن الحياة, أم بمعنى اللادينية, لأنَّها دعوة ضد الإسلام. فالدولة في الإسلام ضرورة لابد منها، وذلك لإنفاذ الأحكام الشرعية، وصيانة الحقوق، ووصول الدين إلى أهدافه وأغراضه في حفظ الدين والنفوس والعقول والأعراض والمال وغيرها.

أمَّا إذا أُبعدَ الإسلام عن الحُكم وعُطِّلت صلاحياته، فستصبح كثيرٌ من أحكامه وتشريعاته حِبراً على ورق؛ لأنَّه لا يمكن تنفيذ تلك الأحكام من قبل الفرد وحده، وذلك كالجهاد في سبيل الله تعالى، وتنفيذ القصاص، وجباية الزكاة، وتأمين الطرق, ونشر الأمن...

وأنَّ الإسلام جاء عقيدة تنظم علاقة الناس بربّهم، وشريعة تدير جميع شؤون الحياة كلِّها، والدين عند الله سبحانه وتعالى هو الإسلام، والإسلام كما يدلُّ عليه اسمه هوالاستسلام لله بالتوحيد, والانقياد له بالطاعة, والخلوص من الشرك.

وقد شملت أوامر الله ونواهيه الحياة بأسرها، فليس هناك جانب من جوانب الحياة أو شيء من نظمها إلَّا ولله تعالى فيه حُكم، فحياتنا العقدية، والاجتماعية، والتربوية والاقتصادية، والسياسية، وضع لنا أصول التعامل فيها، وفصل لنا بعض جوانبها تفصيلاً[23]. **قال تعالى:** ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ (سورة النحل, الآية: ٨٩).

قال مجاهد: كل حلال وكل حرام, وما الناس إليه محتاجون في أمر دنياهم ودينهم ومعاشهم ومعادهم[٢٤].

من اعتقد أنَّ الأنظمة والقوانين التي يسنُّها الناس أفضل من شريعة الإسلام أو أنَّها مساوية لها أو أنَّه يجوز التحاكم إليها، ولو اعتقد أنَّ الحكم بالشريعة أفضل أو أنَّ نظام الإسلام لا يصلح تطبيقه في القرن العشرين، أو أنَّه كان سبباً في تخلف المسلمين، أو أنَّه يحصر في علاقة المرء بربّه، دون أن يتدخل في شؤون الحياة الأخرى، ويدخل في الرابع أيضاً من يرى أنَّ إنفاذ حكم الله في قطع يد السارق، أو رجم الزاني المحصن، لا يناسب العصر الحاضر، ويدخل في ذلك أيضاً كل من اعتقد أنَّه يجوز الحكم بغير شريعة الله في المعاملات أو الحدود أو غيرهما، وإن لم يعتقد أنَّ ذلك أفضل من حكم الشريعة، لأنَّه بذلك يكون قد استباح ما حرَّمهُ الله إجماعاً، وكل من استباح ما حرَّمهُ الله مما هو معلوم من الدين بالضرورة، كالزنا والخمر والربا والحكم بغير شريعة الله فهو كافر بإجماع المسلمين[٢٥].

قال تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ (سورةالمائدة, الآية: ٤٤), عن ابن عباس: ليس بكفر ينقل عن الملَّة بل إذا فعل ذلك وهو به كُفر، وليس كمن يكفر بالله واليومالآخر.

---

(٢٢) العلمانية الجزئية العلمانية الشاملة, عبد الوهاب المسيري دار الشروق للنشر: القاهرة, المجلد١, ط١, (١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م), ص, ١٧.

(23) العلمانية وموقف الإسلام منها, حمود بن أحمد بن فرج الرحيلي,ط, العدد-١١٥, (١٤٢٢هـ). ص, ٣٩٤.

(٢٤) تفسير القرآن العظيم, أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (٧٠٠ -٧٧٤ هـ), تحقيق: سامي بن محمد سلامة, الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع,ط٢, (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م), ج٤, ص, ٥٩٤.

(٢٥) العلمانية وموقف الإسلام منها, حمود بن أحمد بن فرج الرحيلي,ط, العدد-١١٥, (١٤٢٢هـ). ص, ٣٩٦.

وفي الحديث القدسي الشريف, قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): **(من خلع يداً من طاعة لقى الله يوم القيامة لا حجة له ومن مات وليس فى عنقه بيعة مات ميتة جاهلية)**[٢٦].

والعلمانية من الجانب الأخلاقي تعني: الانفلات والفوضى في إشاعة الفاحشة والرذيلة والشذوذ، والاستهانة بالدين والفضيلة، وسنن الهدى، وهذا ضلال مبين وفساد في الأرض، ومن العلمانيين من يرى أن السُنن والآداب الشرعية والأخلاق الإسلامية إنَّما هى تقاليدموروثة[٢٧].

وفي **الختام**:أود أن ألخص أهم ما اشتمل عليه فيما يلي:

١-أنَّ العلمانية اصطلاح جاهلي، لا صلة له بالعلم، وإنَّما سمَّاها أعداء الإسلام بذلك إمعانا منهم في التضليل والخداع، وإلاَّ فإنَّ عزل الدين عن العقيدة والشريعة وجميع نواحي الحياة يعني في الإسلام الكُفر، والمروق من الدين، وحكم الجاهليةوتعطيل حدود الله وشرعه.

٢-إنَّ أهم الأسباب التي أدَّت إلى ظهور العلمانية في أوروبا هو التحريف في أصول الدين، وتسلط رجال الكنيسة دينياً، واقتصادياً، وسياسياً، ولا يخفى ما لليهود مندور بارز في ذلك.

٣-إنَّ ظروف نشأة العلمانية في أوروبا لا تنطبق على الإسلام والمجتمعات الإسلامية، وذلك لأنَّه ليس في الإسلام تحريف في مصدر عقيدته، وليس فيه كهنوت، ولا واسطة بين الخالق وخلقه، وأنَّه لا عصمة لأحد إلاَّ للرسل (عليهم الصلاة والسلام) فيما يبلغونه عن الله تبارك وتعالى, كما أَنَه ليس في الإسلام صراع أو خصام بين الدين والعلم، بل إنَّ الإسلام يدعو إلى العلم النافع المثمر، ويحث عليه، كما أنَّ الإسلام صالح للتطبيق في كل زمان ومجتمع ومكان.

٤-إنَّ من أسباب انتقال العلمانية إلى العالم الإسلامي انحراف كثير من المسلمين عن العقيدة الصحيحة المستمدة من الكتاب والسُنَّة وسيرة السلف الصالح، وسيطرة الاستعمار الغربي والشرقي على كثير من أقطاره عسكرياً، وثقافياً، واقتصادياً، بالإضافة إلى إعجاب كثير من المسلمين بتقدم الغرب الهائل في مضمار العلم المادي.

المـراجــع

١- آيات القرآن الكريم

٢- معجم مقاييس اللغة, أبو الحسين احمد بن فارس, تحقيق: عبد السلام محمد هارون, الناشر: دار الفكر, ط,(١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م).

٣- التوقيف على مهمات التعاريف, محمد عبد الرؤوف المناوي, تحقيق: محمد رضوان الداية, الناشر: دار الفكر المعاصر, دار الفكر, بيروت, دمشق,ط١، (١٤١٠-هـ), باب فصل الراء.

٤- مفردات ألفاظ القرآن, ابو القاسم الحسين بن محمد الراغب الاصفهاني, دار النشر: دار القلم, دمشق, (د, ط,).

٥- الموسوعة السياسية , مجموعة مؤلفين المؤسسة العربية للدراسات والنشر: بيروت ط٣، (١٩٩٧م).

(٢٦) كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال, علاء الدين علي بن حسام الدين المتقي الهندي, البرهان فوري (المتوفى: ٩٧٥هـ), تحقيق: بكري حياني - صفوة السقا, لناشر: مؤسسة الرسالة, ط٥ ، (هـ١٤٠١-١٩٨١م), ج ٦, ص, ٥٢, الرقم: ١٤٨١٠.

(٢٧) الكشف والبيان ,أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري, تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور دار النشر : دار إحياء التراث العربي, بيروت - لبنان, (١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢م), ط١, ج٤, ض, ٧٠.

٦- رفيق عبدالســـلام،في العلمنة والدين والديموقراطية والمفاهيم والســـياقات، مركز الجزيرة للدرســـات، قطر، العربية للعلوم ، بيروت – لبنان ، ط (١، ٢٠٠٨م).
٧- رفيق عبدالســـلام،في العلمنة والدين والديموقراطية والمفاهيم والســـياقات، مركز الجزيرة للدرســـات، قطر، العربية للعلوم ، بيروت – لبنان ، ط (١، ٢٠٠٨م).
٨- عبد الوهاب المسيري ، العلمانية الجزئية والعلمانية الشمولة ، دار الشروق ، بيروت ، ط١،(٢٠٠٢م).
٩- العلمانية بين الغرب والإسلام, محمد عمارة, ط١,(١٤١٧هـ- ١٩٩٦م).
١٠- المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها. غالب بن علي عَواجي, دار النشر: المكتبة العصرية الذهبية, جددَّة- السعودية, ط١, (١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م).
١١-الاتجاهات الفكرية المعاصرة, علي جرشية, دار الوفاء للنشر والتوزيع, المنصورة, ط٢, (١٤٠٩هـ- ١٩٨٨م).
١٢- موقف الإســـلام من العلمانية, صـــلاح الصـــاوي, دار الندوة العالمية للشـــباب الإســـلامي, (١٤٢١هـ), مكتبة الملك فهد الوطنية للنشر, ط١, (١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م).
١٣-جذور الإنحراف في الفكر الإسلامي الحديث, جمال سلطانط١ (١٤١٢هـ- ١٩٩١م).
١٤- العلمانية نشأتها وتطورها, سفر بن عبد الرحمن الحوالي, دار الهجرة للنشر, (د, ط,).
١٥- العلمانية الجزئية العلمانية الشاملة, عبد الوهاب المسيري دار الشروق للنشر, القاهرة, المجلد١, ط١, (١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م).
١٦- تفسير القرآن العظيم, أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (٧٠٠ -٧٧٤ هـ), تحقيق: سامي بن محمد سلامة, الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع,ط٢, (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م).
١٧- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال, علاء الدين علي بن حسام الدين المتقي الهندي, البرهان فوري (المتوفى: ٩٧٥هـ), تحقيق: بكري حياني - صفوة السقا, لناشر: مؤسسة الرسالة, ط٥ ، (هـ١٤٠١-١٩٨١م).
١٨-الكشف والبيان ,أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري, تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور دار النشر : دار إحياء التراث العربي, بيروت – لبنان, (١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢م), ط١.